كيف أنصف

الإسلام المرأة



تأليف

أ.د. زيد بن عبد الكريم الزيد

الأستاذ في قسم الدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

كَيفَ أَنصَفَ الإسلامُ المرأةَ

تأليف

أ.د. زيد بن عبد الكريم الزيد
الأستاذ في قسم الدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزيد ، زيد بن عبد الكريم

كيف أنصف الإسلام المرأة ــ الرياض .

٩٦ ص ؛ ١٤ × ٢٠ سم .

ردمك ٥ـ١٦ـ٨٣٧ـ٩٩٦٠

١ ــ المرأة في الإسلام	أ ــ العنوان

ديوي ٢١٩،١	٢١/١٤٠٦

رقم الإيداع: ٢١/١٤٠٦

ردمك: ٥ـ١٦ـ٨٣٧ـ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م

الصف والإخراج دار العاصمة للنشر والتوزيع

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية

الرياض ـ ص ب ٤٢٥٠٧ ـ الرمز البريدي ١١٥٥١

هاتف ٤٩١٥١٥٤ ـ ٤٩٣٣٣١٨ ـ فاكس ٤٩١٥١٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَمْهِيْد

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلِلْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

١ ـ فإن مما يلفت النظر كثرة الكتابات عن المرأة والانتصار لها، والمطالبة بحقوقها، ولم نجد من يكتب مطالباً بحقوق الرجل! فهل منطلق هذا أن هناك ظلماً حل بالمرأة يجب أن يرفع؟ ثم من هذا الذي ظلمها كي تقام له المحكمة؟ ومن هم أعداء المرأة الحقيقيون؟!

٢ ـ ما هو موقع المرأة من الرجل؟ وما هو موقع

الرجل من المرأة؟ هل كل منهما يترصد للآخر للهجوم عليه؟ أم هناك غالب ومغلوب، وظالم ومظلوم، والأمر قد قضي والمظلوم سليب يطالب باستعادة حقوقه؟ أم هناك شيء آخر خلاف هذا؟

٣ ـ ما هي أوضاع المرأة في الغرب؟ وهل نالت حقوقها؟ وهل حقوقها في تصدر صفحات مجلات الفن ولوحات الدعايات والملصقات والكتابات على السلع والبضائع، حتى أغلفة الأغذية والكماليات وأكياس الأرز وعلب الشامبو والصابون، أهذه الصدارة المطلوبة والمكانة المرموقة للمرأة في الغرب التي تُدْعى إليها المرأة المسلمة؟

٤ ـ ما سبب التركيز على المرأة المسلمة والاهتمام بها؟ نفهم الإجابة على هذا من قول أحد الأمريكيين اليهود: (إن المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن الإسلام، وهي أقدر أفراده على جره بعيداً عن الإسلام)؟!

٥ ـ ما هو رأي المرأة المسلمة وهي تشاهد وسائل الإعلام وتقرأها وترى النماذج النسائية المعروضة؟ هل أثرت فيها الرسالة بعد وصولها أم هي على مستوى من الوعي والحصانة يحميها من تصديق بريق الباطل ووهجه، حينما تقارن بين حالها وحال تلك المرأة التي تعرض مفاتنها، بعطرها ومكياجها، تجري وتذهب إلى كل مكان مع من تشاء بلا حجاب، ولا خمار، ولا عباءة، ولا دار، تجردت من كل شيء؟

٦ ـ إننا نود أن نصل إلى حقيقة مهمة وإجابة واضحة لكيفية إنصاف الإسلام للمرأة؛ وذلك عبر طرح نماذج لبعض قضايا المرأة مبيناً فيها كيف سما الإسلام بالمرأة ورفعها وأعلى مكانتها.

لكن قبل الإجابة على هذا التساؤل لابد أن نُذَكِّر بأن علينا التفرقة بين الشريعة الإسلامية والممارسات الجارية في بعض المجتمعات الإسلامية.

وإننا وإن كنا ندرك بعض تلك الممارسات الخاطئة،

فإن المهم أن نعي أن تلك الممارسات ليست من الإسلام في شيء، والفيصل في بيان حقيقة الإنصاف إنما هو النصوص الشرعية بالدرجة الأولى، ثم يليها بعد ذلك مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي الأول، مجتمع السلف الصالح رضي الله عنهم، فهم خير القرون فهماً وعلماً وعملاً.

وقد حرصت على توضيح هذا الموقف من منطلق دعوي يتلمس الحِكْمة من وراء الحُكْم؛ إذ النفوس كثيراً ما تهفو إلى معرفتها؛ وحينئذ تكون أسرع استجابة وأقوى تفاعلاً.

فإلى هذا البحث، سائلاً المولى التوفيق والسداد والقبول، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أ.د. زيد بن عبد الكريم الزيد
الرياض ص. ب (٨٦٩٠٣)
الرمز البريدي (١١٦٣٢)

المبحث الأول
المرأة في حياة الأنبياء

أولاً: المرأة مربية الأنبياء.
ثانياً: المرأة في السيرة النبوية.
(أ) أوليّة المرأة في ميدان المنافسة.
١ ـ أول من اتجهت إليه الدعوة.
٢ ـ أول من استجاب.
٣ ـ أول من نصر الرسول ﷺ.
٤ ـ أول من استشهد في سبيل هذا الدين.
(ب) الوحي ينزل في قضايا المرأة.
١ ـ خديجة رضي الله عنها.
٢ ـ عائشة رضي الله عنها.
٣ ـ خولة رضي الله عنها.

المرأة في حياة الأنبياء

أولاً: المرأة مربية الأنبياء

في تاريخ الرسل الكرام، بل في تاريخ عدد من أولي العزم منهم، نجد أن تربيتهم في الطفولة عُهد بها إلى المرأة، الأم منفردة في غياب من الوالد أو فقده[١].

جاء في صحيح البخاري رحمه الله تعالى: أن إبراهيم عليه السلام جاء بهاجر أم إسماعيل عليه السلام ومعها ولدها إسماعيل، ووضعها في مكة وليس يومئذ بمكة أحد، ثم تركهما فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء..؟ حتى قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا، فبقيت وحيدة مع وليدها الرضيع في مكة[٢]، حتى بلغ مبلغ الرجال.

---

(١) انظر: د. عبدالحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي ص٨٤.

(٢) انظر: القصة كاملة في صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري =

ويقول تعالى عن نشأة موسى عليه السلام وطفولته: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[١] فالوحي موجه إلى الأم، ولا نجد للأب ذكراً في طفولة موسى عليه السلام.

ويقول تعالى عن عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[٢].

ثم محمد ﷺ توفي والده وهو لا يزال حملاً في بطن أمه، ويقول عن هذا ابن كثير رحمه الله تعالى: (وهذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه)[٣]؛ وينشأ صلى الله عليه وسلم في طفولته المبكرة تحت تربية أمّه آمنة بنت وهب حتى

= جـ٦ ص٣٩٦ حديث رقم ٣٣٦٤.

(١) سورة القصص، الآية رقم (٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم(٤٥ ـ ٤٦).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية جـ٢ ص٢٦٣.

توفيت وعمره ست سنوات[١]، والغريب أن تأتي التربية الحديثة لتقرر أن الطفل في هذا السن يبدأ التأهل لتلقي التعليم والدراسة خارج إطار المنزل، بما يقلل دور الأم حينئذ[٢].

لم تكن هذه النشأة لهؤلاء الأنبياء جميعاً من باب المصادفة والاتفاق، بل كانت تدبيراً إلاهياً محكماً، وفي هذا إشارة إلى مكانة المرأة عامّة، والأم خاصة، في تربية الجيل الصالح وتنشئته، فما دام قد عهد إليها تربية الأنبياء، وقامت بتلك الأعمال المتميزة، وقدمت تلك النماذج الخالدة، فهي جديرة أن تتحمل تلك الرسالة وتمضي بها عبر الأجيال المتتابعة.

---

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد جـ١ ص٧٦.

(٢) يقول أحمد محمد جمال في هامش كتابه: «نساؤنا ونساؤهم» ص٢٦: (يجمع الأطباء وعلماء النفس على أن أهم مرحلة في نمو الأطفال هي السنوات الخمس الأولى في أعمارهم، حيث تتكون بها قواهم الجسدية والعقلية والعاطفية، ولذلك يجب أن يعيشوا خلالها بين آبائهم وأمهاتهم).

ثانياً: المرأة في السيرة النبوية

(أ) أولية المرأة في ميدان المنافسة:

البداءة بالخطاب ـ غالباً ـ فيها تقدير للمخاطب، واحترام له، وتفضيل له على غيره، وإشعار باستحقاقه لهذا التقدير؛ ولمّا نزل الوحي على محمد ﷺ وجاء من غار حراء يرتجف فؤاده، شرف الله سبحانه وتعالى النساء بأن يكون منهن أول مخاطب بهذا الدين؛ فكانت خديجة رضي الله عنها أول من خوطب بالدعوة إلى الله عملياً بعد نزول الوحي، فقد جاء إليها[1] الرسول ﷺ، ولم يذهب إلى قريب أو صديق، وكانت هذه البداءة محل شرف وتكريم للمرأة، أتبعتها خديجة رضي الله تعالى عنها بسبق آخر شرفت به المرأة المسلمة في كل

(١) انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري جـ١ ص٢٢ حديث بدء الوحي.

العصور، عندما بادرت رضي الله عنها إلى الإسلام، فكانت أول مستجيبة لهذا الدين على الإطلاق[١]، فكما كانت المرأة أول من خاطب النبيُّ ﷺ بالدعوة، فقد كانت أول مستجيب من هذه الأمة للرسول ﷺ، بل أول نصير له، فلم تكتف خديجة بالاستجابة السلبية، بل طمأنت الرسول ﷺ، وناصرته وانطلقت به إلى ورقة بن نوفل ليطلعه على ما جرى له؛ ولقد تبع هذه الأولية في الدعوة، والأولية في الاستجابة والنصرة، شرف رابع للمرأة أيضاً، فقد كانت المرأة أول من استشهد في سبيل الله من هذه الأمة؛ فقد كانت سمية بنت خياط رضي الله عنها تعذب في بطحاء مكة على إسلامها واستجابتها لمحمد ﷺ، وتأبى العودة إلى ما كانت عليه من الكفر، فعدا عليها أبو جهل، فطعنها في فرجها بحربة فقتلها، فكانت أول من استشهد في سبيل الله من

(١) انظر: العيني، عمدة القاري، جـ١ ص٦٣، والقسطلاني، المواهب اللدنية جـ١ ص٢١٥، وابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص١٢٣، وأبو زهرة، خاتم النبيين جـ١ ص٣٩٢.

هذه الأمة[١].

وبذلك تكون المرأة أول من خوطب عملياً بدعوة محمد ﷺ، وأول من استجاب، وأول من نصر الدعوة، وأول من استشهد في سبيل هذا الدين، فماذا بقي بعد ذلك؟ إذا كان هذا الميدان بكل مجالاته المتميزة قد فازت به المرأة؟! وهل لقائل أن يقول بعد هذا: إن الدين الإسلامي تجاهل المرأة أو أهملها، فضلاً عن أن يُقال: إن الإسلام ظلم المرأة؟!!

(ب) الوحي ينزل في قضايا المرأة:

لقد كان الوحي ينزل في القضايا المستجدة في زمن الرسول ﷺ، وكثيراً ما كان الوحي ينزل إجابة عن سؤال، أو إيضاحاً أو بياناً لنازلة من نوازل المسلمين.

ولكننا نلحظ أن عدداً من القضايا ينزل بها الوحي فيما يتعلق بامرأة من المسلمين.

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة جـ ٨ ص١١٤.

فمثلاً خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، نجد أن أبا هريرة رضي الله عنه يقول: أتى جبريل عليه السلام النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك ومعها إناء فيه إدام أو طعام أو شرابٍ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل، ومنّي، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[١].

وقصة الإفك قصة معروفة نزلت فيها آيات تتلى، تبرئ عائشة رضي الله عنها مما قيل فيها، تقول عائشة رضي الله عنها كما في صحيح البخاري: (ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى[٢]..)

---

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم جـ٤ ص١٨٨٧ حديث ٢٤٣٢.
و(من قصب): قال جمهور العلماء: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف. وقيل: قصر من ذهب منظوم بالجوهر.
و(صخب): الصخب: الصوت المختلط المرتفع.
و(نصب): النصب: المشقة والتعب.
انظر: هامش صحيح مسلم ٤/ ١٨٨٧.
(٢) وهذا من تواضعها رضي الله عنها وأرضاها.

إلى أن قالت: (وأنزل الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾[١].

ولا يقولنّ قائل: إن هذه في أمهات المؤمنين فحسب، فقد نزلت آيات تتلى في كتاب الله في شأن امرأة من المسلمين، عن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ إلى آخر الآية[٢]. وفي صحيح البخاري معلقاً قال الأعمش عن تميم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ: ﴿ قَدْ

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري جـ٨ ص٤٥٤ ـ ٤٥٥ حديث رقم ٤٧٥٠، والآيات في سورة النور من الآية رقم (١١) وما بعدها. وانظر: ابن القيم، جلاء الأفهام، ص١٢٤.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص٣١٨، وأحمد البنا، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ١٨ ص٢٩٨. والآية أول آية من سورة (المجادلة).

﴿سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾[١].

لقد سمع الله سبحانه وتعالى كلام خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها، وبعضه يخفى على عائشة أثناء شكواها من زوجها، وهي تقول: أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت وانقطع ولدي ظاهر مني، فما برحت مكانها حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات[٢].

فأي تكريم للمرأة بعد هذا التكريم، يوم أن نزل جبريل عليه السلام بجواب من رب العالمين عن شكوى هذه العجوز المسكينة؟!!

إن امرأة بمثل هذا السن وهذه الحالة في غير الإسلام لا تجد من يلتفت إليها، أو يأبه بها، وخير ما قدمت لها تلك المجتمعات الغربية أن تُرمى في دار من دور

---

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري جـ ١٣ ص٣٧٢، كتاب التوحيد، باب: وكان الله سميعاً بصيراً.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري جـ١٣ ص٣٧٤.

العجزة، إن لم يكن على قارعة الطريق.

أمّا في الإسلام، فجبريل عليه السلام يحمل وحياً من الرب سبحانه وتعالى، يُتلى إلى يوم القيامة في قضية امرأة من المسلمين؛ ليعلمنا أن المرأة في هذا الدين ذات شأن مكين.



المبحث الثاني
مكانة المرأة في الأسرة المسلمة

١ ـ الأم أولى من الأب .
٢ ـ الأخت أولى من الأخ .
٣ ـ البنت أولى من الابن .
٤ ـ مكانة الجدة .

مكانة المرأة في الأسرة المسلمة

الإنسان له أصول وفروع، فالأصول الأبوان، والفروع هم الأولاد من البنين والبنات، وله بالإضافة إلى ذلك الإخوان والأخوات، وحينئذ فجهات النسب الثلاث: من الأعلى (وهم الأبوان)، ومن الأسفل (وهم الأولاد)، ومن الأطراف (وهم الإخوان والأخوات)[١].

ونود هنا أن نتعرف على مكانة المرأة داخل هذه المجموعة كيف تكون؟

نود أن نعرف أيهما المقدم: الأب أم الأم؟ والابن أم البنت؟ والأخ أم الأخت؟ لنصل إلى نتيجة عامة توضح لنا مكانة المرأة عامّة بين أقاربها داخل الإطار الأسْري[٢].

---

(١) انظر: ابن القيم، جلاء الأفهام ص١٤٠.

(٢) النسبة للأسرة تكون بتسكين السين، وليس بفتحها كما يقع فيه =

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»[١].

(قال ابن بطال: مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر)[٢]. وقال القرطبي: (هذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب؛ لذكر النبي ﷺ الأم ثلاث مرات، وذكر الأب في الرابعة فقط)[٣]، وقال أيضاً: (وقد زعم المحاسبي في كتاب الرعاية له أن لا خلاف بين العلماء أن للأم ثلاثة أرباع البر، وللأب الربع، على مقتضى

= بعض الأشخاص؛ وذلك لأنه نسبة للمفرد وليس للجمع.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري جـ١٠ ص٤٠٠، حديث ٥٩٧١، وصحيح مسلم جـ٤ ص(١٩٧٤) حديث رقم ٢٥٤٨.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ١٠ ص٤٠٢.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ١٠ ص٢٣٩.

الحديث السابق)[١].

هذا فيما يتعلق بمكانة الأم قياساً بمن يقابلها ويوازيها في المنزلة وهو الأب، ومن النص النبوي وأقوال العلماء رحمهم الله تعالى تتجلى تلك المكانة المتميزة للأم، التي فاقت الأب واستحقت ثلاثة أضعاف المكانة التي ينبغي أن يحتلها الأب في نفوس الأولاد.

أما الأخت والبنت ونظيرهما الأخ والابن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ، فحدثته؛ فقال: «**من يَلِي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**»[٢].

---

(١) المرجع السابق. وانظر: فتح الباري جـ١٠ ص٤٠٢.
(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري، صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري جـ١٠ ص٤٢٦ حديث رقم (٥٩٩٥) وصحيح مسلم جـ٤ ص(٢٠٢٧) حديث رقم (٢٦٢٩).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يكون لأحدكم ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، فيحسن إليهن إلا دخل الجنة»**[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه»**[(٢)]، أي جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين[(٣)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من عال ابنتين أو ثلاثاً أوأختين أو ثلاثاً حتى يبن**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه جـ٣ ص٢١٣ حديث رقم (١٩٧٨)، والبخاري في الأدب المفرد ص٤١ حديث رقم (٧٩)، وأحمد في المسند، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد للشيخ أحمد البنا جـ١٩ ص٤٨، وقال الشيخ أحمد البنا في: «بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني» ١٩/٤٨: (قلت: الحديث له شواهد كثيرة تعضده، منها حديث جابر وحديث أنس).

(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم، جـ ٤ ص(٢٠٢٨) حديث رقم (٢٦٣١).

(٣) النووي، شرح صحيح مسلم جـ١٦ ص١٨٠.

أو يموت عنهن كنت أنا وهو في الجنة كهاتين ـ وأشار بأصبعه الوسطى والتي تليها ـ»[١].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة**»، قال: قيل: يا رسول الله، فإن كانت اثنتين؟ قال: «**وإن كانت اثنتين**». قال: فرأى بعض القوم أن لو قالوا له واحدة، لقال واحدة[٢].

هذه وصية الرسول ﷺ بالبنات والأخوات، وهذه مكانتهن في الإسلام.

البنات أو الأخوات ستر من النار، ووعد لمن برّ بهن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٤٧ ـ ١٤٨ وابن حبان في صحيحه ٢/ ١٩١. وقال شعيب الأرناؤوط في الهامش: [إسناده صحيح على شرط الشيخين].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٠٣. وقال البناء في بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ١٩/ ٤٨: [أورده الهيثمي وقال: رواه أحمد والبزار، والطبراني في الأوسط بنحوه وزاد: «ويزوجهن» من طرق، وإسناد أحمد جيد].

وأكرمهن أن يدخل الجنة، ويأتي القيامة بهذه المنزلة الرفيعة مع الرسول ﷺ، في حين أننا نجد القرآن يحدثنا عن الأبناء ومنزلتهم، فيقول تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[1].

فالبنون زينة الحياة الدنيا مما يتباهى به ويفتخر به، أما البنات فقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى في الآية: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ عدة معان، ثم قال: (وقال عبيد بن عمير: هن البنات، يدل عليه أول الآية، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ثم قال: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ يعني: البنات الصالحات هن عند الله لآبائهن خير ثواباً وخير أملاً لمن أحسن إليهن... ثم نقل قول قتادة رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قال: أبدلهما منه ابنة)[2].

(١) سورة الكهف، الآية رقم (٤٦).
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ١٠ ص٤١٥ ـ ٤١٦.

فالمرأة إن كانت أصلاً فهي خير الأصول، وإن كانت فرعاً فهي خير الفروع، فماذا بقي للرجل بعد ذلك؟! حتى الجدة تلك العجوز التي فَنِيَ عمرها وولّى زمانها وأصبحت بحاجة إلى المساعدة، ما موقعها وأين مكانها؟

أما في الغرب، فالمرأة كلما كبرت قلت قيمتها، وابتعد عنها أقاربها حتى تنبذ في أحد دور الملاجئ في أحسن أحوالها، إن لم تلق على قارعة الطريق تتكفف المارة.

وما أكثر ما يروى عن أولئك من قصص أصبحت عادية من عقوق الأولاد من البنين والبنات بأمهاتهم!!! إن الأم لتمضي سنوات لا ترى ابنها أو بنتها البالغة؛ قد تركوها في المنزل في وحدتها لا يذكرونها إلاّ في بطاقة معايدة مع رأس كل عام ميلادي، هذا للوفي البار منهم.

أما في الإسلام: فيقول تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا

تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[١]، ويقول الرسول ﷺ: «رغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة».

قال الترمذي: قال عبدالرحمن: وأظنه قال: أو أحدهما)[٢].

فالمرأة في الإسلام كلما كبرت زاد احترامها وتقديرها وتقديمها، وكلما علاها الشيب زاد أبناؤها وبناتها وأحفادها تعلقاً بها، وزاد البر والعناية بها[٣]، وأصبحت تلك الجدة العجوز محور الأسرة ومكان تجمعها؛ وما أعظم مشهد تجمع الصغار حول جدتهم

(١) سورة الإسراء، الآية: رقم (٢٣).
(٢) الترمذي، سنن الترمذي، وانظر: صحيح الترمذي للألباني جـ٣ ص١٧٧ رقم (٢٨١٠).
(٣) انظر: محمد متولي الشعراوي، المعارك الأيدلوجية في تاريخ الإسلام، ص٣٦٩ (بحث مطبوع ضمن أبحاث وقائع اللقاء الثاني للندوة العالمية للشباب الإسلامي بعنوان: من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر).

يقبلون رأسها ويصغون إلى حديثها، وخاصة إذا قورن بمشهد عجوز في الغرب في شقتها منبوذة، أو مع مجموعة من العجزة في إحدى دور الملاجئ تَنَكَّر لها أقرب الناس من الأبناء والبنات.

وإذا كانت للمرأة (جدة وأماً وبنتاً وأختاً) هذه المكانة، فهل يقال بعد ذلك: إن الإسلام ظلم المرأة؟ أم إنه أكرمها ورفع منزلتها بين نظرائها من الآباء والأبناء والإخوان؟!

لقد أنصف الإسلام المرأة وأعلى مكانتها منذ ولادتها حتى آخر يوم في حياتها.

* * *

المبحث الثالث
المرأة والوظيفة

١ ـ التكامل بين الرجل والمرأة.
٢ ـ صلة الوظيفة بالتركيب الجسمي.
٣ ـ وظيفة الرجل ووظيفة المرأة.
٤ ـ تفريغ المرأة تكريم لها.

المرأة والوظيفة

الذين يتحدثون عن عمل المرأة ووظيفتها يعرضون الأمر على أن المرأة والرجل خصمان، يتربص كل منهم بالآخر غفلة لينقض ويأخذ منه جزءاً من حقوقه.

والصحيح أن الرجل والمرأة متكاملان، فلا يمكن أن تستغني المرأة عن الرجل، ولا يمكن للرجل أن يستغني عن المرأة، ولولا النساء لانتهى المجتمع، وكذلك الرجال، ولن تدوم الحياة ولن تستمر إلا باجتماعهما.

ثم إن وجودهما مختلفين لا يعني عيباً أو نقصاً في أحدهما أو انحيازاً للآخر، ولذلك مثال:

النهار لو جعله الله سبحانه وتعالى سرمداً[1] إلى يوم القيامة لما صلحت الحياة، ولو جعل الله سبحانه

(١) أي دائماً نهاراً واحداً متصلاً لا يعقبه ليل. أيسر التفاسير ٣/ ٤١٧.

وتعالى الليل سرمداً إلى يوم القيامة لما صلحت الحياة، لكن حينما يوجد الليل والنهار ينتظم أمر الناس، وتقوم الحياة، ويصبح الليل للراحة، والنهار للعمل، يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

وهنا نطرح هذه التساؤلات:

١ ـ هل يعيب الليل أنه أسود؟ وهل يعيب النهار أن شمسه حارة؟ وهل يعد هذا ظلماً لليل بسواده في مقابلة ضوء النهار، أم هل تعد حرارة الشمس في النهار ظلماً له في مقابلة برودة الليل؟

٢ ـ لو أردنا أن نسوي بين الليل والنهار، أو نقلب

(١) سورة القصص، الآيتان رقم (٧١ ـ ٧٢)، وانظر: محمد متولي الشعراوي، المعارك الأيدلوجية في تاريخ الإسلام، مرجع سابق ص٣٧٠.

المرأة والوظيفة

الذين يتحدثون عن عمل المرأة ووظيفتها يعرضون الأمر على أن المرأة والرجل خصمان، يتربص كل منهم بالآخر غفلة لينقض ويأخذ منه جزءاً من حقوقه.

والصحيح أن الرجل والمرأة متكاملان، فلا يمكن أن تستغني المرأة عن الرجل، ولا يمكن للرجل أن يستغني عن المرأة، ولولا النساء لانتهى المجتمع، وكذلك الرجال، ولن تدوم الحياة ولن تستمر إلا باجتماعهما.

ثم إن وجودهما مختلفين لا يعني عيباً أو نقصاً في أحدهما أو انحيازاً للآخر، ولذلك مثال:

النهار لو جعله الله سبحانه وتعالى سرمداً[١] إلى يوم القيامة لما صلحت الحياة، ولو جعل الله سبحانه

(١) أي دائماً نهاراً واحداً متصلاً لا يعقبه ليل. أيسر التفاسير ٣/ ٤١٧.

وتعالى الليل سرمداً إلى يوم القيامة لما صلحت الحياة، لكن حينما يوجد الليل والنهار ينتظم أمر الناس، وتقوم الحياة، ويصبح الليل للراحة، والنهار للعمل، يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

وهنا نطرح هذه التساؤلات:

١ ـ هل يعيب الليل أنه أسود؟ وهل يعيب النهار أن شمسه حارة؟ وهل يعد هذا ظلماً لليل بسواده في مقابلة ضوء النهار، أم هل تعد حرارة الشمس في النهار ظلماً له في مقابلة برودة الليل؟

٢ ـ لو أردنا أن نسوي بين الليل والنهار، أو نقلب

(١) سورة القصص، الآيتان رقم (٧١ ـ ٧٢)، وانظر: محمد متولي الشعراوي، المعارك الأيدلوجية في تاريخ الإسلام، مرجع سابق ص٣٧٠.

الوظيفة، فهل يستقيم الأمر؟ أم أننا نجد العنت والمخالفة للفطرة؟ النهار للعمل، والليل للسكن والهدوء، تماماً كالرجل والمرأة، الرجل للعمل، والمرأة للسكن والهدوء ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١].

إننا نأخذ هذين الأمرين على أنهما ضدان، وهما في الواقع متعاونان متكاملان، لا يستقيم أحدهما بدون الآخر، ولكل منهما وظيفة لا يمكن قيام المجتمع بدونها، يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾[٢]، ويقول تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[٣]، واللباس يقي الإنسان الحر والبرد ويعطيه الحسن والجمال، وهكذا ينبغي أن تكون علاقة الزوج بامرأته، وعلاقة المرأة

(١) سورة الروم، الآية رقم(٢١).
(٢) سورة الليل، الآيات رقم(١ ـ ٤).
(٣) سورة البقرة، الآية رقم (١٨٧).

بزوجها، كل منهما وقاية لصاحبه؛ وتنمو العلاقة بينهما بالمودة المتبادلة، ويكون كل منهما أميناً لسر الآخر[١].

وإذْ قررنا مبدأ التكامل بين الرجل والمرأة نود أن ننتقل بعد ذلك إلى خطوة أخرى، وهي ارتباط الوظيفة بالتركيب الجسمي[٢]، فالرجال منهم من يصلح للعمل في الأشياء الدقيقة كإصلاح الساعات، ولا يحسن غيرها، ومنهم من لا يصلح، ومع ذلك هذا الذي لا يصلح هنا، تجده في وظيفة أخرى متميزاً، ولا يعيب هذا ولا ذاك، ولا ننظر للأمور نظرة مبتورة؛ بل هذا من أسباب التكامل في الحياة فكل ميسر لما خلق له، والمرأة جزء من هذا المجتمع، خلقت لأداء وظيفة تناسب تركيبها الجسمي، وتكمل بها مع غيرها وظائف المجتمع.

---

(١) انظر: محمد المنصور فوري، رحمة للعالمين جـ١ ص٣٣٠ - ٣٣١.

(٢) انظر: عصمة كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية، ص١٤٥.

الوظيفة، فهل يستقيم الأمر؟ أم أننا نجد العنت والمخالفة للفطرة؟ النهار للعمل، والليل للسكن والهدوء، تماماً كالرجل والمرأة، الرجل للعمل، والمرأة للسكن والهدوء ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١].

إننا نأخذ هذين الأمرين على أنهما ضدان، وهما في الواقع متعاونان متكاملان، لا يستقيم أحدهما بدون الآخر، ولكل منهما وظيفة لا يمكن قيام المجتمع بدونها، يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾[٢]، ويقول تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[٣]، واللباس يقي الإنسان الحر والبرد ويعطيه الحسن والجمال، وهكذا ينبغي أن تكون علاقة الزوج بامرأته، وعلاقة المرأة

(١) سورة الروم، الآية رقم(٢١).
(٢) سورة الليل، الآيات رقم(١ ـ ٤).
(٣) سورة البقرة، الآية رقم (١٨٧).

بزوجها، كل منهما وقاية لصاحبه؛ وتنمو العلاقة بينهما بالمودة المتبادلة، ويكون كل منهما أميناً لسر الآخر[١].

وإذْ قررنا مبدأ التكامل بين الرجل والمرأة نود أن ننتقل بعد ذلك إلى خطوة أخرى، وهي ارتباط الوظيفة بالتركيب الجسمي[٢]، فالرجال منهم من يصلح للعمل في الأشياء الدقيقة كإصلاح الساعات، ولا يحسن غيرها، ومنهم من لا يصلح، ومع ذلك هذا الذي لا يصلح هنا، تجده في وظيفة أخرى متميزاً، ولا يعيب هذا ولا ذاك، ولا ننظر للأمور نظرة مبتورة؛ بل هذا من أسباب التكامل في الحياة فكل ميسر لما خلق له، والمرأة جزء من هذا المجتمع، خلقت لأداء وظيفة تناسب تركيبها الجسمي، وتكمل بها مع غيرها وظائف المجتمع.

(١) انظر: محمد المنصور فوري، رحمة للعالمين جـ١ ص٣٣٠ - ٣٣١.
(٢) انظر: عصمة كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية، ص١٤٥.

وكما لا يعيب الرجل عدم معرفته لعمل معين وإن أجاد غيره، فكذلك لا يعيب المرأة عدم ملاءمتها لعمل معين، مع كونها مبرزة في عمل يناسبها.

يقول ألكسيس كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) وهو يتحدث عن الفوارق بين الرجل والمرأة: (ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقّى الجنسان تعليماً واحداً، وأن يمنحا قوى واحدة ومسؤوليات متشابهة، والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها. .) إلى أن قال: (فعلى النساء أن ينمين آهليتهن تبعاً لطبيعتهن، دون أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال، فيجب عليهن ألاّ يتخلين عن وظائفهن المحددة)[١].

(١) ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ص١٠٩.

وقرأت مقالاً في جريدة الشرق الأوسط، كتبته فوزية سلامة، عن الفرق بين الذكر والأنثى، قالت فيه: (إن الفرق بين الذكر والأنثى يبدأ قبل أن يخرج الجنين إلى الحياة)، وختمت المقال بقولها: (إن الإصرار على إلغاء الفوارق بين الجنسين قد أدى إلى مزيد من الانفصال بينهما، فقد أصبح لزاماً على المرأة أن تتكيف مع متطلبات الانتماء إلى عالم الجنس الواحد (اليونيسكس)، أي أنها مطالبة بدخول الملعب من أبواب المؤسسة الذكرية، والنتيجة الحتمية هي الحرمان والغضب والقلق)، ثم قالت: (قد أختم هذا الجزء من مذكراتي الشخصية بعبارتين: يحيا الفرق، يحيا العدل)[١].

ثم بعد هذا نعود للنظر في عمل المرأة الذي أسند لها: ما هو؟ وما هو العمل الذي أسند للرجل؟ وهل

(١) انظر: مقال بعنوان (يحيا العدل) كتبته فوزية سلامة، في جريدة الشرق الأوسط، عدد رقم (٤٠٠٣) ١٥/ ٤/ ١٤١٠هـ.

وكما لا يعيب الرجل عدم معرفته لعمل معين وإن أجاد غيره، فكذلك لا يعيب المرأة عدم ملاءمتها لعمل معين، مع كونها مبرزة في عمل يناسبها.

يقول ألكسيس كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) وهو يتحدث عن الفوارق بين الرجل والمرأة: (ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقّى الجنسان تعليماً واحداً، وأن يمنحا قوى واحدة ومسؤوليات متشابهة، والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها..) إلى أن قال: (فعلى النساء أن ينمين آهليتهن تبعاً لطبيعتهن، دون أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال، فيجب عليهن ألاّ يتخلين عن وظائفهن المحددة)[1].

(١) ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ص١٠٩.

وقرأت مقالاً في جريدة الشرق الأوسط، كتبته فوزية سلامة، عن الفرق بين الذكر والأنثى، قالت فيه: (إن الفرق بين الذكر والأنثى يبدأ قبل أن يخرج الجنين إلى الحياة)، وختمت المقال بقولها: (إن الإصرار على إلغاء الفوارق بين الجنسين قد أدى إلى مزيد من الانفصال بينهما، فقد أصبح لزاماً على المرأة أن تتكيف مع متطلبات الانتماء إلى عالم الجنس الواحد (اليونيسكس)، أي أنها مطالبة بدخول الملعب من أبواب المؤسسة الذكرية، والنتيجة الحتمية هي الحرمان والغضب والقلق)، ثم قالت: (قد أختم هذا الجزء من مذكراتي الشخصية بعبارتين: يحيا الفرق، يحيا العدل)[1].

ثم بعد هذا نعود للنظر في عمل المرأة الذي أسند لها: ما هو؟ وما هو العمل الذي أسند للرجل؟ وهل

---

(١) انظر: مقال بعنوان (يحيا العدل) كتبته فوزية سلامة، في جريدة الشرق الأوسط، عدد رقم (٤٠٠٣) ١٥/ ٤/ ١٤١٠هـ.

يتضمن هذا ظلماً للمرأة؟

الرجل يتعامل في الحياة إن كان مزارعاً مع الأرض ومع الحيوانات ليربيها مثلاً، وإن كان نجاراً فمع الأخشاب، وإن كان صانعاً فمع الحديد، وإن كان تاجراً فهو وسيط يتعامل بمواد تجارته بين المنتج والمستهلك، عموماً هو يتعامل مع الأشياء.

أما المرأة في منزلها فهي تتعامل مع ما هو أسمى من ذلك وأرفع، إنها تتعامل مع الإنسان، إمّا زوجاً يسكن إليها، أو وليداً تقوم عليه بالتربية وتخرجه للحياة ناشئاً صالحاً مصلحاً.

فالمرأة مهمتها التعامل مع أشرف أجناس الكون وهو الإنسان[١]، والذي أوكل لها هذه المهمة شرفها بذلك، وهل هناك في الوجود أشرف من تخريج هذه الأجيال؟ وكما قال حافظ إبراهيم:

(١) انظر: محمد متولي الشعراوي، القضاء والقدر، ص١٠٤ ـ ١٠٦.

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعباً طيب الأعراق[١]

وهي تقوم بهذه الأعمال تاركة للرجل السعي طول يومه، مع تلك الأشياء التي يكتسب منها قوت يومه لها وله ولأولادهما.

والذين أرادوا أن يخرجوا المرأة من وظيفتها تلك هل أحسنوا إليها؟ إنهم أولاً أنزلوها من منزلتها الرفيعة تلك، فاستبدلت بأبنائها وبناتها دخان المصانع وخشونة المواد وغبار الطرق وزحام المكاتب والمتاجر، ومع هذا لم يكن ثمة تخفيفٌ للمرأة من وظيفتها الأصلية في هذا الأمر، فلم يتمكن هؤلاء من إضافة شيء من أعمال المرأة إلى الرجل، فلا تزال تقوم المرأة بوظائفها، وكل ما فعلته أن استعانت بامرأة أخرى تقوم ببعض أعمالها إذا هي خرجت إلى ميدان الرجال!

لذلك يمكننا أن نقول بعد هذا:

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ص٢٨٢.

يتضمن هذا ظلماً للمرأة؟

الرجل يتعامل في الحياة إن كان مزارعاً مع الأرض ومع الحيوانات ليربيها مثلاً، وإن كان نجاراً فمع الأخشاب، وإن كان صانعاً فمع الحديد، وإن كان تاجراً فهو وسيط يتعامل بمواد تجارته بين المنتج والمستهلك، عموماً هو يتعامل مع الأشياء.

أما المرأة في منزلها فهي تتعامل مع ما هو أسمى من ذلك وأرفع، إنها تتعامل مع الإنسان، إمّا زوجاً يسكن إليها، أو وليداً تقوم عليه بالتربية وتخرجه للحياة ناشئاً صالحاً مصلحاً.

فالمرأة مهمتها التعامل مع أشرف أجناس الكون وهو الإنسان[١]، والذي أوكل لها هذه المهمة شرفها بذلك، وهل هناك في الوجود أشرف من تخريج هذه الأجيال؟ وكما قال حافظ إبراهيم:

(١) انظر: محمد متولي الشعراوي، القضاء والقدر، ص١٠٤ ـ ١٠٦.

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق[1]

وهي تقوم بهذه الأعمال تاركة للرجل السعي طول يومه، مع تلك الأشياء التي يكتسب منها قوت يومه لها وله ولأولادهما.

والذين أرادوا أن يخرجوا المرأة من وظيفتها تلك هل أحسنوا إليها؟ إنهم أولاً أنزلوها من منزلتها الرفيعة تلك، فاستبدلت بأبنائها وبناتها دخان المصانع وخشونة المواد وغبار الطرق وزحام المكاتب والمتاجر، ومع هذا لم يكن ثمة تخفيفٌ للمرأة من وظيفتها الأصلية في هذا الأمر، فلم يتمكن هؤلاء من إضافة شيء من أعمال المرأة إلى الرجل، فلا تزال تقوم المرأة بوظائفها، وكل ما فعلته أن استعانت بامرأة أخرى تقوم ببعض أعمالها إذا هي خرجت إلى ميدان الرجال!

لذلك يمكننا أن نقول بعد هذا:

(١) ديوان حافظ إبراهيم ص٢٨٢.

أولاً: إنّ الإسلام كرّم المرأة وخصها بالوظيفة الملائمة لها.

ثانياً: إن تلك الوظيفة التي اختارها الإسلام لها هي أسمى الوظيفتين المسندتين إلى الجنسين الذكر والأُنثى.

لكن قد يقول قائل: إن بقاء المرأة في المنزل لتربية الأولاد، وتفريغها لهذا العمل، واعتمادها على الآخرين، امتهان لها، فنقول في هذا:

إن الدول المتقدمة تُفرِّغ خِيرَة العلماء والخبراء، وتُؤمن لهم وسائل المعيشة، وتغنيهم عن الاكتساب؛ لكي يتجهوا نحو العطاء العلمي النافع لبلدانهم.

والجامعات تفرغ كبار أعضاء هيئة التدريس فيها لإعداد البحوث العلمية المهمة، وتؤمن لهم رواتبهم، بل وتدفع لهم تذاكر السفر، وتهيء لهم وسائل الراحة ليتمكنوا من تقديم البحوث المطلوبة منهم.

ولا يعد هذا إلا تكريماً من الدول لعلمائها، ومن الجامعات لأساتذتها، وهو كذلك من المجتمع المسلم عندما يفرغ المرأة في منزلها للقيام على الجيل القادم بالتربية والرعاية والتنشئة، مع تكفل الرجل بالاكتساب للمرأة وإغنائها عن البحث عن مصدر الرزق، فهو تكريم لها ورفعة وإدراك لقيمة وظيفتها التي أسندت إليها.

* * *

أولاً: إنّ الإسلام كرّم المرأة وخصها بالوظيفة الملائمة لها.

ثانياً: إن تلك الوظيفة التي اختارها الإسلام لها هي أسمى الوظيفتين المسندتين إلى الجنسين الذكر والأُنثى.

لكن قد يقول قائل: إن بقاء المرأة في المنزل لتربية الأولاد، وتفريغها لهذا العمل، واعتمادها على الآخرين، امتهان لها، فنقول في هذا:

إن الدول المتقدمة تُفرِّغ خِيرَة العلماء والخبراء، وتُؤمن لهم وسائل المعيشة، وتغنيهم عن الاكتساب؛ لكي يتجهوا نحو العطاء العلمي النافع لبلدانهم.

والجامعات تفرغ كبار أعضاء هيئة التدريس فيها لإعداد البحوث العلمية المهمة، وتؤمن لهم رواتبهم، بل وتدفع لهم تذاكر السفر، وتهيء لهم وسائل الراحة ليتمكنوا من تقديم البحوث المطلوبة منهم.

ولا يعد هذا إلا تكريماً من الدول لعلمائها، ومن الجامعات لأساتذتها، وهو كذلك من المجتمع المسلم عندما يفرغ المرأة في منزلها للقيام على الجيل القادم بالتربية والرعاية والتنشئة، مع تكفل الرجل بالاكتساب للمرأة وإغنائها عن البحث عن مصدر الرزق، فهو تكريم لها ورفعة وإدراك لقيمة وظيفتها التي أسندت إليها.

* * *

المبحث الرابع
المرأة والحجاب

١ ـ الحجاب العام.
٢ ـ الحجاب الخاص.
٣ ـ الحكمة من الحجاب:
أولاً: الحجاب تأمين للمرأة وتكريم لها.
ثانياً: الحجاب استقرار للمجتمع.

المبحث الرابع
المرأة والحجاب

١ ـ الحجاب العام.
٢ ـ الحجاب الخاص.
٣ ـ الحكمة من الحجاب:
أولاً: الحجاب تأمين للمرأة وتكريم لها.
ثانياً: الحجاب استقرار للمجتمع.

المرأة والحجاب

لقد كُتِبَ كثيراً عن حجاب المرأة، بين مُبيِّن لأحكامه وحكمته، في مقابل كتابات أخرى هاجمت الحجاب ودعت المرأة إلى تمزيقه، وعدّت هذا التمزيق رمز التحرر من تلك الخيمة التي تحملها معها المرأة أينما سارت، وسُمي أكبر ميدان في القاهرة بهذا الاسم «ميدان التحرير» لأنه شهد موقفاً من مواقف تمزيق المرأة للحجاب.

ونحاول هنا أن نقف مع هذا الحجاب؛ لنطرح البدائل الممكنة في هذا الأمر:

الأول: الاختلاط الكامل بين الرجال والنساء، وأن تُعامَل المرأة مع الرجل كما يُعامَل الرجل مع الرجل.

الثاني: الفصل الكامل والتام بين الرجال والنساء، فلا يرى الرجل المرأة ولا ترى المرأة الرجل، وكل

يسلك درباً مستقلاً في هذه الحياة.

الثالث: أن يلتقيان ويتعاونان لقيام هذا المجتمع التقاء منضبطا يخدم الرجل والمرأة والمجتمع.

قد يقول قائل ـ وما أكثرهم ـ بالخيار الأول، لكنهم لا يرضونه لزوجاتهم ولا لبناتهم وأمهاتهم وأخواتهم، فهو يريد شيئاً لنفسه، أما شيئاً عليه فلا، كما قال الرسول ﷺ لمن جاءه يستأذن في الزنا: «**أترضاه لأمك..؟**» فقال: لا.. الحديث[١]. ولذلك فكما أن الثاني ـ باتفاق الجميع ـ ظلم للمرأة، فالأول لا يقل عنه ظلماً؛ لأنه هو الابتذال الحقيقي للمرأة، عندما يريد منها الرجل ما لا يرضاه لزوجته وبنته وأمه وأخته؛ ولذلك فالعدل في الثالث الذي لا يحْرِمِ المرأة ولا يحرم المجتمع منها.

(١) الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٥٧، وقال أحمد البنا في «بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني» عن سند هذا الحديث: «وسنده عند الإمام أحمد جيد» جـ١٦ ص٧١.

المرأة والحجاب

لقد كُتِبَ كثيراً عن حجاب المرأة، بين مُبيِّن لأحكامه وحكمته، في مقابل كتابات أخرى هاجمت الحجاب ودعت المرأة إلى تمزيقه، وعدّت هذا التمزيق رمز التحرر من تلك الخيمة التي تحملها معها المرأة أينما سارت، وسُمي أكبر ميدان في القاهرة بهذا الاسم «ميدان التحرير» لأنه شهد موقفاً من مواقف تمزيق المرأة للحجاب.

ونحاول هنا أن نقف مع هذا الحجاب؛ لنطرح البدائل الممكنة في هذا الأمر:

الأول: الاختلاط الكامل بين الرجال والنساء، وأن تُعامَل المرأة مع الرجل كما يُعامَل الرجل مع الرجل.

الثاني: الفصل الكامل والتام بين الرجال والنساء، فلا يرى الرجل المرأة ولا ترى المرأة الرجل، وكل

يسلك درباً مستقلاً في هذه الحياة.

الثالث: أن يلتقيان ويتعاونان لقيام هذا المجتمع التقاء منضبطا يخدم الرجل والمرأة والمجتمع.

قد يقول قائل ـ وما أكثرهم ـ بالخيار الأول، لكنهم لا يرضونه لزوجاتهم ولا لبناتهم وأمهاتهم وأخواتهم، فهو يريد شيئاً لنفسه، أما شيئاً عليه فلا، كما قال الرسول ﷺ لمن جاءه يستأذن في الزنا: «**أترضاه لأمك..؟**» فقال: لا.. الحديث[١]. ولذلك فكما أن الثاني ـ باتفاق الجميع ـ ظلم للمرأة، فالأول لا يقل عنه ظلماً؛ لأنه هو الابتذال الحقيقي للمرأة، عندما يريد منها الرجل ما لا يرضاه لزوجته وبنته وأمه وأخته؛ ولذلك فالعدل في الثالث الذي لا يحْرِمِ المرأة ولا يحرم المجتمع منها.

(١) الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد ٥/٢٥٧، وقال أحمد البنا في «بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني» عن سند هذا الحديث: «وسنده عند الإمام أحمد جيد» جـ١٦ ص٧١.

ولقد جاء الإسلام بهذا الرأي الوسط ففصل بين الجنسين فصلاً منضبطاً، وشرع حجاباً أدبياً متساوياً موجهاً للجنسين الرجل والمرأة[١]، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ الآية[٢].

وتزيد المرأة بعد ذلك حجاباً خاصاً بها، ولكن لسائل أو معترض أن يقول: ولماذا زادت المرأة في الحجاب عن الرجل؟ ونقول:

لقد أجاب على ذلك الأستاذ المودودي رحمه الله تعالى، فقال: (على أن هناك فرقاً بين نظر المرأة إلى الرجل ونظر الرجل إلى النساء، من حيث الخصائص

(١) انظر: عصمة كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية ص٢٢٨.
(٢) سورة النور، الآيتان رقم (٣٠ ـ ٣١).

النفسية للصنفين، وذلك أن في طبيعة الرجل الإقدام، فهو إذا أحب شيئاً يسعى في إحرازه والوصول إليه، ولكن في طبيعة المرأة التمنع والفرار، وهي ما دامت على فطرتها لم تنسلخ منها لا يمكن أن يكون فيها الجرأة والوقاحة والإقدام ما تتقدم به بنفسها إلى شيء تحبه وتعجب به، وقد راعى الشارع عليه السلام هذا الفرق بين طبعي الصنفين، فلم يشدد في النهي عن نظر المرأة إلى الأجنبي تشديده في النهي عن نظر الرجل إلى الأجنبية)[1].

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الحجاب الذي شرع للمرأة لم يكن يوماً من الأيام فيه ازدراء لها أو انتقاص، بل فيه تأمين للمرأة وتكريم لها، وعنصر استقرار للمجتمع رجاله ونسائه، وبيان ذلك كالآتي:

أولاً: الحجاب تأمين للمرأة وتكريم لها:

١ ـ أما تأمين المرأة بالحجاب، فإن الرجل إذا

---

(١) المودودي، الحجاب ص٣٠٨.

ولقد جاء الإسلام بهذا الرأي الوسط ففصل بين الجنسين فصلاً منضبطاً، وشرع حجاباً أدبياً متساوياً موجهاً للجنسين الرجل والمرأة[١]، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ الآية[٢].

وتزيد المرأة بعد ذلك حجاباً خاصاً بها، ولكن لسائل أو معترض أن يقول: ولماذا زادت المرأة في الحجاب عن الرجل؟ ونقول:

لقد أجاب على ذلك الأستاذ المودودي رحمه الله تعالى، فقال: (على أن هناك فرقاً بين نظر المرأة إلى الرجل ونظر الرجل إلى النساء، من حيث الخصائص

(١) انظر: عصمة كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية ص٢٢٨.
(٢) سورة النور، الآيتان رقم (٣٠ ـ ٣١).

النفسية للصنفين، وذلك أن في طبيعة الرجل الإقدام، فهو إذا أحب شيئاً يسعى في إحرازه والوصول إليه، ولكن في طبيعة المرأة التمنع والفرار، وهي ما دامت على فطرتها لم تنسلخ منها لا يمكن أن يكون فيها الجرأة والوقاحة والإقدام ما تتقدم به بنفسها إلى شيء تحبه وتعجب به، وقد راعى الشارع عليه السلام هذا الفرق بين طبعي الصنفين، فلم يشدد في النهي عن نظر المرأة إلى الأجنبي تشديده في النهي عن نظر الرجل إلى الأجنبية)[١].

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا الحجاب الذي شرع للمرأة لم يكن يوماً من الأيام فيه ازدراء لها أو انتقاص، بل فيه تأمين للمرأة وتكريم لها، وعنصر استقرار للمجتمع رجاله ونسائه، وبيان ذلك كالآتي:

أولاً: الحجاب تأمين للمرأة وتكريم لها:

١ ـ أما تأمين المرأة بالحجاب، فإن الرجل إذا

(١) المودودي، الحجاب ص٣٠٨.

تزوج المرأة وعاشت معه سنوات، فإنها مع متاعب الإنجاب ومرور السنين يذبل بعض جمالها وتخف نضرتها، ويختفي بعض شبابها ولابد، والمرأة تعتمد اعتماداً كبيراً على هذه الأمور، وتحتل في حياتها جزءاً رئيساً، فإذا خرج الزوج إلى الطريق أو العمل أو في الزيارات وغيرها من أماكن اللقاءات، ورأى فتيات في مقتبل العمر وفي قمة النضارة والجمال، ثم عاد إلى منزله وقارن بين ما رأى وبين ما عنده مقارنة خفية في ذاكرته، لم يقم لزوجته ذاك الاحترام والمحبة، وبدأت تذبل عاطفته نحوها، وهي ترى ذلك ولكنها لا تعرف سببه، وتلحظ من زوجها تغير تعامله معها، ومشاجرته لها لأقل الأسباب؛ وفساد الكثير من البيوت يبدأ من هذه المسألة[١].

فمن الذي أفسد على هذه المرأة زوجها؟ إنه تضييع تلك الفتاة الشابة حجابها! وتلك الفتاة ستكبر وستجد

(١) انظر: محمد متولي الشعراوي، القضاء والقدر، ص١١٤ ـ ١١٥.

بعدها من يفسد عليها زوجها يوماً من الأيام.

لذلك يقال للمرأة من الآن: احتجبي حتى لا تفسدي الأزواج على زوجاتهم، وحتى يعم الحجاب فلا يفسد عليك زوجك فيما بعد.

ويوم لا يرى الزوج إلا زوجته، تبقى في ذاكرته تلك الذكريات الطيبة معها، فلا يشعر بتغيرها وكبرها، ولأنه لا يرى ما يحل له من النساء خيراً منها، ولأجل ذلك تسوهل في حجاب القواعد من النساء وهن كبار السن، قال تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾[1]. أما أخواته وبناته وبنات أخيه، فهؤلاء رغم صغرهن بالنسبة لزوجته فهو لا ينظر إليهن نظر الرجل إلى المرأة؛ لأنهن محرمات عليه حرمة أبدية، ولهذا يكون نظره إليهن وجلوسه معهن كجلوسه مع رجل آخر؛ لا يحرك فيه أي عاطفة نحو النساء. فالإسلام كي

---

(١) سورة النور، الآية رقم(٦٠).

يـرحـم المـرأة ويـؤمـن حيـاتهـا، منعهـا مـن التهـاون بالحجاب حتى لا تفسد الرجال على النساء وتهدم الأسر، وحتى لايفعل أحد معها مستقبلاً الفعل ذاته، يوم تحرص على المحافظة على علاقتها بزوجها طيبة.

٢ ـ وأما تكريم المرأة بالحجاب، فإن الإسلام لم يقصد بالحجاب امتهان المرأة، إلا إذا كان الاهتمام بالحفظ يعني الامتهان.

وكل منا يتفاوت حفظ ما عنده حسب قيمته لديه، فالسقط من المتاع لا يبالي الشخص به أهو في داخل المنزل أم في خارجه؟ أهو موجود أم مفقود؟ وكلما غلت قيمة الشيء زاد الاهتمام به والحرص على حفظه، فالنفيس من الثياب في الدواليب المغلقة، وأثمن من ذلك الأوراق والمستندات المهمة في دواليب خاصة في أقصى المنزل، أما الذهب والمال ففي صناديق داخل صناديق لا تقبل الكسر، وتقاوم الحريق، وتعسر على الفتح أو السرقة.

فهل حفظ الذهب والمال بهذه الطريقة امتهان له أم تفضيل له على غيره؟

وأثمن ما في المجتمع نساؤه، وكسرهن لا ينجبر أبداً، والنيل من عرض امرأة واحدة كافٍ في هدم الأسرة بكاملها، ولا يقتصر الضرر عليها، بل يتجاوز ذلك إلى أبويها وزوجها وإخوانها وأخواتها وأبنائها وبناتها.

وحينئذ فحينما يأتي الإسلام بتشريع الحجاب للمرأة فهو تكريم لها؛ لأنه يقول لها: أنت أثمن ما في الدنيا، وأغلى ما في هذا المجتمع، فكيف يسوغ أن تخرجي كاشفة؟ أما لو كنت من سقط المتاع لما بالينا بك، ولما حملنا تجاهك أي هم، ولأذِنّا لك أن تلبسي ما شئت، وتقضي وقتك حيث شئت، ومع من شئت.

ولذلك لما كانت الأمة ـ التي أصل سبيها الكفر ـ أدنى منزلة من الحرة المسلمة، جرى التساهل في حجاب الإماء؛ بل كان عمر رضي الله عنه يمنع الأَمَة أن

تلبس الحجاب كما تلبسه الحرة[١].

ثانياً: الحجاب استقرار للمجتمع:

أما كون الحجاب عامل استقرار للمجتمع، فقد ذكرت فائدته للمرأة، وأن تهاون امرأة واحدة به قد يسبب خسارة عدة نساء لأزواجهن، ومتى حافظت النساء على الحجاب احتفظ النساء بأزواجهن، فلا يفكرون بغيرهن، وتبقى العلاقة حميمة وثيقة بينهم.

ومن الجانب الآخر فإن الزوج الذي لا يرى مما يحل له من النساء إلا امرأة واحدة يعود إليها بعد كل فرقة ولو قصيرة، وهو بشوقٍ إليها، في حين أنه إذا خرج إلى السوق أو إلى العمل ورأى ما يثير عواطفه ويهيج شهواته، ثم لا يتمكن من إشباع رغبته، يعود إلى منزله قلقاً مضطرباً[٢]، عواطفه في الخارج، وقلبه معلق بما رأى، والمباح عنده في الداخل قد فَتُر اهتمامه به لمّا

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام، القرآن جـ١٤ ص٢٤٤.

(٢) انظر: محمد متولي الشعراوي ،القضاء والقدر، ص١١٤.

قارنه بما شاهد، فما في داخل منزله لا يحقق إشباع رغبته، وما تعلقت نفسه به محرم عليه.

ولذلك يقول الرسول ﷺ لعلي ـ رضي الله عنه ـ: «**يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الثانية**»(١). وسئل عن نظر الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**»(٢)؛ لأنك إذا مضيت مع النظر وقعت في المحظور، وهو تعلق القلب بغير ما تتمكن منه شرعاً، وأَضَرّ بما هو مباح لك وشوهه وأنقص قيمته.

ومتى قام الحجاب أمنت الزوجات، واستقر الأزواج، وصلحت الحياة الأسْرية، وأصبح المجتمع نظيفاً من كل سوء.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٠٣ رقم (١٨٨١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٤٠٣ رقم (١٨٨٠).

المبحث الخامس
المرأة والقوامة

١ ـ العطاء من الرجل والأخذ من المرأة.
٢ ـ قوامة الزوج شاملة لجميع من في المنزل ذكوره وإناثه.
٣ ـ للرجل القوامة الظاهرة وللمرأة القوامة الباطنة.



المرأة والقوامة

في قضية قوامة الرجل على المرأة التي وردت في الشرع الإسلامي في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[١] نريد أن نتعرف على سبب هذه القوامة، وحكمتها، فنقول:

١ ـ في أمور الحياة كلها لابد لكل مجموعة من رأس يرجع إليه، في العمل يوجد الرؤساء للأقسام والإدارات بشكل هرمي،، ولا يمكن أن تستقيم دفة العمل إلا بذلك؛ والأمر نفسه موجود في المنزل، لابد له من قائد يوجهه، يرجع إليه جميع أفراد الأسرة في أمورهم.

٢ ـ في مسألة الزوج والزوجة نجد أن الزوج هو الخاطب للزوجة، وهو الذي يدفع المهر من ماله لها،

(١) سورة النساء، الآية رقم (٣٤).

وهو الذي يتعهد بالنفقة عليها وعلى أولادها، وعلى ضوء ذلك فلن يتردد عادل منصف في ترشيحه لقيادة الأسرة، وهو يرى عطاء الرجل وأخذ المرأة. ولو دخلت مؤسسة من المؤسسات كل ما فيها من أدوات وأثاث ملك لشخص، وهو يدفع رواتب الموظفين، فهل تحتاج إلى أن تسأل: لمن هذه المؤسسة؟ ومن هو رئيسها؟ بل لو رأيت هذا الشخص موظفاً عادياً فيها لأثار هذا استغرابك الشديد، كيف لايكون هو المسؤول عنها وهو المنفق عليها؟!

٣ ـ إن هذه القوامة والسلطة من الرجل على الأسرة في المنزل لم تكن قاصرة على المرأة فحسب، بل على جميع مَنْ في المنزل مِنْ زوجة وبنين وبنات، مما يعني أن القضية ليست قضية ذكورة وأنوثة فحسب، وإنما هي كما قال تعالى: ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[1].

٤ ـ إن هذه القوامة من الرجل مع كونها جاءت

(١) سورة النساء، الآية رقم (٣٤).

للرجل على المرأة مقابل ما يدفعه من المهر والنفقة، فإن للمرأة قوامة وسلطة على الرجل دون أن تدفع شيئاً، فإن الرجل وإن كان في الظاهر هو الأمير المدبر، فإن للمرأة في هذا المنزل سلطة أخرى خفية، يقول عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، فالرجل إذا تعلّق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له، يبقى قلبه أسيراً لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد، وهو في الظاهر سيدها؛ لأنه زوجها، وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها، لاسيما إذا دَرَتْ بفقره إليها وعشقه لها، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها، فإنها حينئذ تحكم فيه بحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور، الذي لا يستطيع الخلاص منه، بل أعظم، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من استعبد بدنه واسترق لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً)[١].

---

(١) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جـ١٠ ص١٨٥ ـ ١٨٦.

فللرجال حينئذ السلطان الظاهري، وللنساء السلطان الباطني (قيادة القلب)، وسلطان القلب أقوى من سلطان البدن؛ ولذلك فإن بعض الأمور التي يتعسر قضاؤها بشفاعة الرجال يمكن أن تتم بشفاعة زوجة الرجل عنده؛ لمكانة المرأة في قلبه، وإن بدا أن بدنها تحت توجيهه، فلها قلبه وله بدنها.

٥ ـ ولا ننسى أيضاً سبب القوامة الذي أشارت إليه الآية الكريمة ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[1]، فجنس الرجال أفضل من جنس النساء، وأبعد منهن نظراً[2].

وحينئذ يجتمع سببان في القوامة:

١ ـ بما فضل الله بعضهم على بعض.

٢ ـ بما أنفقوا من أموالهم.

والله أعلم.

(١) سورة النساء، الآية رقم (٣٤).

(٢) انظر: أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير ١/ ٣٩٦.

المبحث السادس
المرأة والشهادة

* التكريم شيء، وقبول الشهادة أو ردّها شيء آخر.
* الشهادة تكليف وليست تشريفاً.
* المرأة ليست لصخب الأسواق.
* المرأة تقبل شهادتها المنفردة في أخطر القضايا.

المرأة والشهادة

يقول الله سبحانه وتعالى في مسألة الشهادة في قضايا الأموال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾[١] وعند هذه الآية ثارت ثائرة بعض الناس: ما هذا الانتقاص للمرأة؟! كيف تكون المرأة نصف الرجل؟ وكأن الآية تقول: امرأة + امرأة = رجل، في كل شيء!

ولتوضيح هذا الأمر نقول:

أولاً: التشريع الإسلامي لا يصح أن تؤخذ منه آية واحدة ويترك ما عدا ذلك، ومكانة المرأة أو مكانة الرجل لا تقررها آية واحدة، بل ينظر إلى مجموع الآيات التي هنا والتي هناك، ماذا تقول؟ ومنها جميعاً تتكون صورة كاملة واضحة عن مكانة المرأة في الإسلام.

(١) سورة البقرة، الآية رقم (٢٨٢).

وإن الذي أنزل هذه الآية سبحانه وتعالى هو الذي أنزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[1]، ولا يمكن أن يتصادم النص الشرعي، فالتكريم شيء وقبول الشهادة أو ردّها شيء آخر؛ لأننا نجد في القرآن الكريم قبول شهادة الكافر على المسلم في الوصية أثناء السفر إذا لم يوجد غيره[2]، كما يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾[3].

ولو شهد رجل مسلم على آخر ـ ولو كان كافراً ـ بحق مالي، لم يحكم له بموجب هذه الشهادة بمفردها، ولابد أن يأتي المدعي معها بمستند آخر يؤيدها من

(١) سورة الحجرات، الآية رقم (١٣).
(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ١ ص٥٢٦.
(٣) سورة المائدة، الآية رقم (١٠٦).

شاهد آخر أو يمين، فقبول شهادة الكافر ليس تكريماً له، ورد شهادة المسلم ليس فيه إهانة له أو انتقاص، وبهذا فلا يصح أن نجعل قبول شهادة المرأة أو ردها تكريماً لها أو إهانة.

ثانياً: ينبغي أن نتذكر أن الشهادة تكليف وليست تشريفاً[1]، فالشاهد يشهد وغيره يقبض، ولذلك فقد كان متوقعاً تهرُّب الناس من أداء الشهادة، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾[3]، فمن تحمل شهادة فهي عبء عليه وليست له، ومن أعفي من هذه المسؤولية فقد خفف عنه؛ وقد جاء الشرع الإسلامي بالعديد من أنواع التخفيف وفقاً لمقتضيات الحال، فلم تطالب المرأة مثلاً بالجهاد،

(١) انظر: لقاء مع الدكتور محمد معروف الدواليبي، نشرته جريدة الشرق الأوسط في نهاية شهر شعبان ١٤١٠هـ.
(٢) سورة البقرة، الآية رقم (٢٨٣).
(٣) سورة البقرة، الآية رقم(٢٨٢).

وخفف على الشيخ الكبير في الصيام، والمسافر بالفطر والقصر والجمع، ولم يُعَدّ هذا التخفيف إهانة، بل نعمة تستوجب الشكر لله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: إن الآية التي سلفت الإشارة إليها وهي قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾ تقرر عدد الشهود في القضايا المالية من بيع أو شراء أو عقود، وما تتضمنه من مفاوضات ليس من شأن المرأة الانشغال بها كما قلنا في وظيفة المرأة، فالرجل في صخب الأسواق والمرأة في سكون المنزل بين أولادها، والإسلام لا يرغب في إخراجها إلى صخب الأسواق، وإذا علم الناس أنهم في القضايا المالية بحاجة إلى امرأتين مع رجل، أو رجلين فقط، فسيبحثون عن رجلين أيسر لهم، وهذا كي لا يُلجأ إلى إحضار النساء إلى الأسواق، إلا عند حاجة ملحة تستدعي ذلك، ففيه لفت نظر لأصحاب الحقوق لكي يبحثوا عن الرجال لتوثيق

أعمالهم المالية، وترك النساء لأعمالهن[١].

رابعاً: إن الرجل لم تقبل شهادته منفرداً كما هو نص الآية: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾، فشهادة الرجل هنا بمفردها غير مقبولة، وردها لا يضيره، بل لنا أن نسأل: من الذي عضد شهادة الرجل هنا وجعلها تقبل؟ إنه شهادة النساء، فلابد أن نلاحظ أن شهادته ردت ولم يعدَّ ذلك إهانة، ثم جاءت شهادة المرأتين مؤيدة لشهادته فقبلت شهادته حينئذ.

خامساً: إن شهادة الرجل بمفردها ـ التي رُدَّت في أتفه القضايا المالية ـ قد قابلها قبول شهادة المرأة بمفردها في أخطر القضايا، مثل الشهادة بالولادة،

(١) انظر: د. عبدالله بن محمد المطلق، شهادة المرأة في الفقه الإسلامي، ص٥٧ وهو بحث قيم في هذا الموضوع، وانظر مقابلة مع د/ معروف الدواليبي، جريدة الشرق الأوسط، شعبان ١٤١٠هـ.

والاستهلال، والرضاعة، والنسب[١]، وكذلك شهادة المرأة الطبيبة مثل شهادة الطبيب[٢]، فقبول الشهادة هنا من المرأة بمفردها كاف في إثبات مدى تقدير الإسلام لها، وأهليتها في نظره لأداء ما تحملته.

سادساً: أن النص الشرعي عَلَّلَ جعل شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل في القضايا المالية بقوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[٣]. والضلال هنا المراد به النسيان[٤]، وهذا قد ينشأ عن أسباب، منها: قلة الخبرة بموضوع التعاقد الذي ليس في الأصل من شأنها، مما يجعلها

---

(١) انظر: ابن قدامة، المغني جـ٩ ص١٥٥، وانظر: د. عبدالله بن محمد المطلق، شهادة المرأة في الفقه الإسلامي، ص٣٧، وانظر أيضاً: عصمة كركر، المرأة من خلال الآيات القرآنية، ص٢٣٦.

(٢) انظر: محمد بن إبراهيم، مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم جـ١٣ ص٤٠، ود. المطلق، مرجع سابق، ص(٤٣).

(٣) سورة البقرة، الآية رقم (٢٨٢).

(٤) انظر: الطبري، تفسير الطبري ٣/ ١٢٦، وابن عاشور، التحرير والتنوير ٣/ ١٠٩.

لا تستوعب كل دقائقه وملابساته، فتحتاج إلى أختها لتعاونها في تذكر ملابسات الموضوع كاملاً.

وقد ينشأ هذا أيضاً من طبيعة المرأة نفسها التي يغلب عليها العاطفة في الجملة، فهي أم ومربية أطفال بحاجة أكثر من غيرها إلى هذه العاطفة، فمن فضل الله عليها وعلى الأطفال وجود هذه الصفة فيها، وشخصيتها واحدة لا تتجزأ، وعند الشهادة تحتاج إلى تجرد كبير، ووقوف عند الواقع، فتعاضد امرأتين حينئذ فيه ضمانة لظهور الحق كاملاً عند الحاجة إلى أداء الشهادة[١].

ولذلك نخلص إلى القول: إن عَدَّ شهادة المرأتين تعادل شهادة رجل واحد في القضايا المالية، قصد به تكريم المرأة أولاً بإبعادها عن أجواء الأسواق وصخبها. وقصد به ثانياً التخفيف عنها من هذه المسؤولية التي لا تجني منها إلا التردد إلى المحاكم

(١) انظر: عبدالله المطلق، شهادة المرأة في الفقه الإسلامي ص٢٨ - ٢٩.

للإدلاء بأقوالها، في سبيل مصلحة لغيرها يمكن أن يقوم بها أحد الرجال، ويكفيها عناء المحاكم بعد كفايتها عناء صخب الأسواق وتبذلها. وقصد به ثالثاً: مراعاة المرأة وتقدير تكوينها الذي تختلف فيه عن الرجال. والله أعلم.

* * *

المبحث السابع
المرأة وقضية تعدد الزوجات

* كثرة النساء .
* التعدد أو الطلاق .
* التعدد أو الانفلات .
* هل نصغي للمرأة المتزوجة أم للعانس؟

المرأة وقضية تعدد الزوجات

١ ـ تقول الإحصاءات الرسمية: إن النساء أكثر من الرجال[١]، وفي مستشفيات الولادة يقول المسؤولون: إن نسبة المواليد من الإناث أعلى من نسبة الذكور[٢]. ومع هذا فالرجال أكثر تعرضاً للمخاطر من النساء بسبب طبيعة عملهم وبسبب الحروب[٣]؛ مما يعني أن القادم من الرجال أقل والذاهب منهم أكثر، وبالتالي فزواج رجل من امرأة واحدة سيؤدِّي في النهاية إلى نساء بلا أزواج.

(١) انظر على سبيل المثال: نتيجة إحصاء سكان المملكة لعام ١٤١٢هـ.
(٢) ذكر ذلك أحد مدراء المستشفيات في الرياض.
(٣) يقول الكاتب الإنجليزي برنارد شو: (إنه لحكمة عليا كان الرجل أكثر تعرضاً للمخاطر من النساء، فلو أصيب العالم بجائحة أفقدته ثلاثة أرباع الرجال، كان لابد من العمل بشريعة محمد في زواج أربع نساء لرجل واحد؛ ليستعيض ما فقده بذلك بعد فترة وجيزة) هامش: نساؤنا ونساؤهم، ص٤٠.

ومَن المتضرر من هذا؟ إنه المرأة.

لكن ما الحل؟ ما الحل لمشكلات تلك النساء اللاتي سيبقين بلا أزواج؟!

٢ ـ تعترض الحياة الزوجية بعض المشكلات الخارجة عن الطاقة، مثل عدم إنجاب المرأة أو مرضها، وهذا يجعل الزوج مضطراً إلى الطلاق ليتزوج امرأة سليمة تنجب له أولاداً، لكن ماذا تصنع هذه المرأة التي جُمع مع عدم الإنجاب أو المرض أنها أصبحت مطلقة؟! فالمشكلة هنا أيضاً مشكلة تخص المرأة.. فما هو الحل؟

٣ ـ إننا عندما نبحث عن حل من أفواه النساء لهذه القضية التي تمسهن، ينبغي أن نصغي إلى إجابة المرأة صاحبة المشكلة، وهي المرأة التي لم تتزوج، وليست المرأة الأنانية المرفهة في منزل الزوجية التي لا تعاني من مشكلة.

٤ ـ نأتي هنا لنناقش الحلول المطروحة لقضية تلك النساء اللاتي هن خارج إطار الزوجية، فنقول:

الحل الأول: منع التعدد، والتمسك بمبدأ زوجة واحدة لكل رجل، وكل يدبر أمره بنفسه. فمن المتضرر هنا؟ الزوجة والمرأة غير المتزوجة سيتضرران من هذا القرار! أما كيف؟ فلأن المرأة التي بلا زوج ستيأس من الزواج، وبالتالي فقد تسقط في الرذيلة حاقدة على المجتمع.

والزوجة أيضاً سينالها الضرر، لأنها إن كانت المشكلة فيها فسيضطر زوجها إلى طلاقها والبحث عن امرأة منجبة، أو سليمة، أو على أقل الأحوال ستبقى قلقة على مستقبلها تنتظر الانصراف عنها في كل لحظة؛ لأن زوجها لا يستطيع أن يتزوج إلا بفراقها.

الحل الثاني: إباحة الزنا لمعالجة قضايا النساء اللآتي بلا أزواج، وهل هناك امتهان للمرأة أكثر من امتهانها بالزنا؟! وهل الزنا يهيء للمرأة بيتاً كريماً؟ إن

الإسلام عندما حرم الزنا أعلن بذلك كرامة المرأة[١]، ورفعة منزلتها، وأنها ليست مجرد مكان لقضاء الحاجة أو إفراغ اللذة، وكذلك عندما حرم الإسلام نكاح المتعة أو النكاح المؤقت، كل ذلك قصد منه تكريم المرأة أكثر منه تكريماً للرجل.

الحل الثالث: إباحة التعدد المنضبط بما لا يضر المرأة الأولى ولا الثانية ولا المجتمع، وفق المنطلقات التالية:

الأول: العدل بين الزوجات، فمن يغلب على ظنه عدم القدرة على العدل لا يجوز له التعدد.

الثاني: أن لا يزيد في العدد على أربع نساء.

وإذا مُنع التعدد فأول متضرر منه هو النساء اللآتي لم يجدن أزواجاً، أو الزوجات اللآتي لديهن مشكلات مثل العقم والمرض، والظلم واقع عليهن من بنات جنسهن، وإن قام التعدد قام العدل بين النساء في اقتسام

(١) انظر: أحمد محمد جمال، نساؤنا ونساؤهم، ص١٠.

الرجال.

٥ ـ تعدد الزوجات ليس تشريعاً ملزماً للرجل ولا للمرأة، وإنما توسعة للمرأة التي لا تجد زوجاً تستقل به، فبإمكانها أن تنضم إلى رجل معه زوجة، وهذا خيار لها، وليس بملزم، إن رأت من المصلحة أن تبقى بلا زواج خيراً لها وأروح من مشاركة زوجة، فلا تثريب عليها في ذلك، وما المبرر لرفض توسعة لها ولبنات جنسها لا تلزمها بشيء؟

٦ ـ ومع ذلك فإن من الزوجات من سيعترض على إباحة التعدد لتنفرد بزوجها، لكن أُذَكّر بما قلته في الفقرة (٣) قبل قليل وهي: (هل نصغي إلى رأي المرأة صاحبة المشكلة، أم المرأة الأنانية المرفهة في منزلها التي لا تعاني من مشكلة؟) إننا عندما نريد أن نعالج مشكلة الفقر في البلد نتحسس أحوال الفقراء، ونسأل عن مطالبهم، ونسمع لمقترحاتهم، لا أن نذهب إلى الأغنياء، وعندما نريد أن نمنح إعانة اجتماعية نتعرف

علـى أحـوال المحتـاجيـن، لا أن نـدرس أحـوال الموسرين، ولذلك فالمرأة التي تقول: أريد نصف زوج، أو ثلث زوج، أو ربع زوج؛ كي تحمي نفسها من الرذيلة، أولى بالسماع لها من المرأة التي تريد أن تستأثر بالرجل ولو بقيت النساء بلا أزواج وتشردن وتعرضن للضياع!

ثم لابد أن نتذكر دائماً أن التشريع الإسلامي يقدم المصالح العامة على الخاصة، فما فيه نفع عام للمجتمـع مقـدم، ولـو تضـرر منـه أفـراد معـدودون، فمصلحة المجتمع تقتضي التعدد، وكم من المعاناة تجدها المجتمعات التي منعته، ولذلك نجد من النساء في الغرب من تصرخ مطالبةً بإباحة التعدد، تقول فتاة إنجليزية في الإذاعة البريطانية، برنامج (سيدي العزيز): إنها تطالب بتشريع يبيح تعدد الزوجات، وقالت: إنها تفضل العيش تشاركها زوجة أخرى، على

حياة العانس الموحشة التي يبدو أنها كتبت عليها[١].

وينقل أحمد بهاء الدين في جريدة «الأخبار» المصرية قول أستاذة ألمانية في الجامعة: (إن حل مشكلة المرأة الألمانية هو في إباحة تعدد الزوجات.. إنني أفضل أن أكون زوجة مع عشر نساء لرجل ناجح، على أن أكون الزوجة الوحيدة لرجل فاشل تافه.. إن هذا ليس رأيي وحدي، بل هو رأي نساء كل ألمانيا)[٢].

* * *

(١) انظر: إبراهيم أحمد باواني، لماذا أسلمنا؟ ص١٢٦.
(٢) انظر: أحمد محمد جمال، نساؤنا ونساؤهم، ص٤١.

الخاتمــة

عرضت في هذا الكتاب الذي اشتمل على سبعة مباحث إلى سبع قضايا من قضايا المرأة، بينت في المبحث الأول مكانة المرأة في حياة الأنبياء عليهم السلام، حيث كانت المرأة مربية لعدد من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم ذكرت أن المرأة شرفت في الإسلام بأنها أول من اتجهت إليها الدعوة، وأول مستجيبة، وأول من ناصر هذا الدين، وأول من استشهد في سبيله، حيث سبقت الرجل في هذه المواضع الأربعة، وذكرت نماذج لتنزل الوحي من السماء في قضايا تخص المرأة.

ثم بينت في المبحث الثاني مكانة المرأة داخل الأسـرة، حيـث أوضحـت أن الأم أولـى مـن الأب، والبنت أولى من الابن، والأخت أولى من الأخ، ثم أوضحت مكانة الجدة في الإسلام، مذكراً بالجدة في

الغرب وحالتها المأساوية هناك.

ثم في المبحث الثالث تحدّثت عن المرأة والوظيفة، حيث بينت أن الأصل هو التكامل بين الرجل والمرأة، وأن التفاوت بينهما مقصودٌ، كما أن التفاوت بين الرجال موجود أيضاً، ومع ذلك فللمرأة خير العملين وأسماهما وأعلاهما، وأن تفريغها لعملها تكريم لها، كما يفرغ العلماء والخبراء والباحثون.

وفي المبحث الرابع تحدّثت عن المرأة والحجاب، والحجاب المشترك بين الرجال والنساء والحجاب الخاص، ثم عرجت على بيان أن الحجاب تأمين للمرأة!! فالحجاب من المرأة يُؤمِّنُ لبقية النساء استمرار الحياة الزوجية، وبقاء الحب والود بين الزوجين، وإذا ما تبرجت امرأة واحدة أفسدت قلوب العديد من الأزواج، وبينت أيضاً أن الحجاب تكريم للمرأة، إذْ أثمن الأشياء هو الذي يصان ويحفظ، وكلما زادت القيمة زادت العناية والحفظ؛ ولا أعلى في

المجتمع المسلم من المرأة!

ثم تحدثت في المبحث الخامس عن المرأة والقوامة، وبينت سبب القوامة، وأن للرجل القوامة الظاهرة، ولزوجته القوامة الباطنة، فله بدنها ولها قلبه.

ثم في المبحث السادس شرحت موضوع شهادة المرأة، وبينت أن المبدأ الذي ننطلق منه أن التكريم شيء وقبول الشهادة شيء آخر، فقد رُدَّت شهادة الرجل في مواضع، وأن الشهادة تكليف وليست تشريفاً؛ بل الشاهد يبذل من وقته وجهده، وغيره يقبض. ثم بينت أن الإسلام حرص على إبعاد المرأة عن صخب الأسواق؛ ولذلك فشهادتها في غير الأمور المالية ليست كشهادتها في الأمور المالية، وشهادتها منفردة مقبولة في أخطر القضايا كالولادة والنسب والرضاعة والاستهلال، ولا فرق بين شهادة الطبيب والطبيبة في أمور الطب، فمن حيث المبدأ لا فرق بينهما، وإذا افترقا ففيه التكريم للمرأة والإبعاد عن المواطن التي لا

تناسبها.

ثم في المبحث السابع تحدّثت عن قضية التعدد، وذكرت الخيارات المطروحة ونتائجها، وأن الحل لابد أن ينطلق من المرأة المكلومة، وهي الجديرة بالإصغاء لها وسماع شكواها، كما نسمع شكوى الفقراء لا الأغنياء في حل مشكلة الفقر.

أسأل المولى التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ الأدب المفرد، **الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري**، مشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم، الإمارات العربية المتحدة ١٤٠١هـ.
٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، **شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني**، دار الكتب العلمية بيروت.
٣ ـ الإنسان ذلك المجهول، **ألكسيس كاريل**، تعريب شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف بيروت ١٩٨٣م.
٤ ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، **أبو بكر جابر الجزائري**، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٥ ـ البداية والنهاية، **الحافظ ابن كثير**، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ.
٦ ـ بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، **أحمد بن**

عبدالرحمن البنا، دار الشهاب القاهرة، الطبعة الأولى.

٧ ـ تفسير القرآن العظيم، **أبو الفداء إسماعيل بن كثير**، دار الفكر، بيروت.

٨ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي**، دار المدني، جدة ١٤٠٨هـ.

٩ ـ الجامع لأحكام القرآن، **أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠ ـ الحجاب، **أبو الأعلى المودودي**، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

١١ ـ خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، **محمد أبو زهرة**، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر.

١٢ ـ ديوان حافظ إبراهيم، **محمد الأمين**، بيروت ١٩٦٩م.

١٣ ـ رحمة للعالمين، **محمد سليمان المنصور فوري**، تعريب مقتدي حسن الأزهري، الدار السلفية، بومباي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٤ ـ الرسول العربي المربي، **د. عبدالحميد الهاشمي**، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
١٥ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، **شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٦هـ.
١٦ ـ سنن الترمذي، **الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي**، تحقيق عبدالرحمن بن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ.
١٧ ـ شرح صحيح مسلم، **للإمام يحيى بن شرف النووي**، نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
١٨ ـ شهادة المرأة في الفقه الإسلامي، **د. عبدالله بن**

محمد **المطلق**، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٩ ـ صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري، **لابن حجر العسقلاني**، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٢٠ ـ صحيح ابن حبان، **محمد بن حبان البستي**، ترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ.

٢١ ـ صحيح سنن أبي داود، **محمد ناصر الدين الألباني**، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٢ ـ صحيح سنن الترمذي، **محمد ناصر الدين الألباني**، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٣ ـ صحيح مسلم، **الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري**، تحقيق محمد فؤاد

عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٢٤ ـ ضعيف سنن الترمذي، **محمد ناصر الدين الألباني**، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى.
٢٥ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، **العلامة بدر الدين العيني**، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٢٦ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، **الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني**، تحقيق وتعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
٢٧ ـ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام بن حنبل الشيباني، **أحمد بن عبدالرحمن البنا**، دار الشهاب القاهرة، الطبعة الأولى.
٢٨ ـ لماذا أسلمنا؟ **إبراهيم أحمد باواني**، ترجمة مصطفى جبر، نشر الرئاسة العامة لإدارات

البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
٢٩ ـ القضاء والقدر، **محمد متولي الشعراوي**، دار الندوة، الاسكندرية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
٣٠ ـ مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع وترتيب **محمد بن عبدالرحمن بن قاسم**، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
٣٠ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب **عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد**، مكتبة المعارف، الرباط.
٣١ ـ المرأة من خلال الآيات القرآنية، **عصمة كركر**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس.
٣٢ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، **الإمام أحمد بن حنبل**، دار صادر، بيروت.
٣٣ ـ المعارك الأيدلوجية في تاريخ الإسلام، **محمد متولي الشعراوي**، بحث مطبوع في كتاب: من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، الندوة العالمية

للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٣٤ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، **العلامة أحمد بن محمد القسطلاني**، تحقيق صالح بن أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٥ـ نساؤنا ونساؤهم، **أحمد بن محمد جمال**، دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف.

٣٦ـ جريد الشرق الأوسط الصادرة عن **الشركة السعودية للأبحاث والتسويق**، جدة.

فهرس الموضوعات

المبحث الثاني

المبحث الثالث

المبحث الرابع

المبحث الخامس

المبحث السادس